

الرواية الشفهية في التاريخ

إن الرواية الشفهية في كتابة التاريخ تظل رواية وليست وثيقة يعتد بها ، كما تظل رواية يرويها صاحبها وتخضع لمنهج نقد النص ، أي تفكيك النص وإعادته لحالته الأولى ، وبالتالي لا بد من دراسة الظروف التي كانت قائمة لتؤثر على هذه الرواية حتى يمكن فهم طبيعتها.

ولعل أبرز ملامح "الرواية الشفهية" أن صاحبها لا يتحدث دائماً عن نفسه ، وإنما يحاول النيل من الآخرين من دون أن يقيم ذاته ، فالرواية الشفهية التي يذكرها صاحبها دائماً هي جزء من مذكراته الشخصية عيبتها الرئيسي أن صاحبها لا يتحدث عن نفسه لكنه يتحدث عن الآخرين ، ومن ثم يحاول النيل منهم من دون أن يقيم نفسه ولا يقول مثلاً إنه أخطأ أو تسرع أو اندفع أو جانبه الصواب أو لم يكن مدركاً لأبعاد أشياء كثيرة ، لذا فإن حديثه ينصب دائماً على الآخرين ويصورهم على أنهم لا يفهمون.

وللأسف معظم المذكرات في الأصل هي روايات شفوية ، لكن بعض المذكرات قد تكتسب الصدق خاصة إذا ما كان صاحبها كتبها بغير قصد النشر ، ونموذج ذلك مذكرات سعد زغلول (١٨٦٠ - ١٩٢٧) ومحمد فريد (١٨٦٨ - ١٩١٩) ، حيث كان سعد زغلول يدون مذكراته على شكل يوميات وفق حجم الحادث ، فكان يكتب كل شيء ويعترف على نفسه ، حتى إنه قال إنه كان ضد شقيقه الذي كان يوشى به عند الملك وأن داء القمار قد تمكن منه ، وأنه كان يشرب الخمر.

والرواية .أي رواية .لا بد أن يتم التعامل معها على أساس منهج نقد النص وفق الظروف المحيطة بالرواية ، ومن هو كاتبها من حيث وضعه الاجتماعي وانتمائه السياسي لاستبيان مدى التأثير في كتابتها ، خاصة أن هناك روايات تنشر اعتماداً على قاعدة الولاء لدافع الأجر أو لإرضاء السلطة ، وبذلك يمكن القول إن صاحب الرواية إذا كان كذوباً لا يمكن الاعتداد به.

هناك قواعد لكتابة التاريخ أهمها جمع المعلومات من المصادر ومنها أرشيف الدولة "الوثائق" ، بالإضافة إلى التشريعات الصادرة في الفترة المراد كتابة تاريخها ، وكل ما يتعلق بنشاط الدولة في الموضوع المراد الكتابة فيه - بالإضافة إلى نوع آخر من المصادر مثل الأشخاص المعاصرين ، وكذلك المذكرات التي تكتب وتظهر خلال الأحداث ، قبل أن يتم تحليل كل هذه العناصر وتفسيرها ليس بهدف محاكمة الأشخاص ولكن لإجلاء الحقيقة.

عن حوار أجراه غريب الدماطي
مع أستاذ التاريخ الدكتور عاصم الدسوقي
منشور بجريدة العربي مارس ٢٠٠٩